عقيدة الإيمان فى ضوء الكتاب والسنة

د. محمد البيومى عبد الحكيم صدقه *

أستاذ التفسير المساعد

الإيمان بالله وحده هو أساس الرسالات النبوية جميعها وهو أصل الأصول الذى قامت عليه الأديان السماوية كلها من لدن آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ .

[قل آمنا بالله وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين](١) .

[شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب](٢) .

ومن أجله أرسل الله تعالى رسله تفضلا على النوع الإنسانى وتكريماً له ورحمة به لا لاستعباد الإنسان واستذلاله بالتكاليف ولكن لبيان مصالحهم وطريق سعادتهم فى الدنيا والآخرة = حتى تتحقق للإنسان خلافة الله فى أرضه وحتى يقوم بحق تلك الخلافة على الوجه الذى يريده رب العزة جل جلاله ويرضاه ، ويدرك مسئوليته التى من أجلها خلقه الله

(١) آل عمران ٨٤ ، ٨٥ (٢) الشورى ١٣

سبحانه وتعالى وجعله خليفة فى أرضه ويحمل أعباء تلك المسئولية فإما أن يؤدى الأمانة كاملة فيستحق الثواب والتكريم ، وإما أن يفرط فيها أو يضيعها فتقوم عليه الحجة وينقطع عنه العذر . قال تعالى :

[رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما](١) .

والإيمان بالله هو أصل الأصول فى دعوة القرآن الكريم وهو أساس النجاة فى الدنيا والآخرة .

[ربنا إنا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار](٢) .

[إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيما](٣) .

والإيمان هو السبيل إلى الأمن والأمان والسكينة والاطمئنان وإصلاح النفس وهدوء البال .

[الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ، ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم](٤) .

[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم](٥) .

---

(١) النساء ١٧٥ (٢) آل عمران ١٩٣

(٣) النساء ٤٨ (٤) محمد ١-٢-٣

(٥) يونس ٩

هذا وقد جاء الحديث عن الإيمان فى القرآن الكريم فى مواطن عديدة من المكى والمدنى حيث وردت مادة [أ م ن] فى القرآن (٨١١) مرة[1] فضلا عن أن القرآن الكريم كله دعوة إلى الإيمان .

وإليك أيها القارىء الكريم تعريفاً بالإيمان على ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة يتمثل فى :

١ — بيان حقيقة الإيمان .

٢ — الإسلام وعلاقته بالإيمان والإحسان .

٣ — زيادة الإيمان ونقصه .

٤ — أركان الإيمان .

٥ — شعب الإيمان .

٦ — صفات المؤمنين

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ص ٨١ وما بعدها .

١ — الإيمان لغة التصديق

يقول الإمام الزمخشرى : والإيمان إفعال من الأمن ، يقال : أمنته ، وآمنته غيرى ثم يقال آمنه : إذا صدقه .

وحقيقته : آمنه التكذيب والمخالفة ، وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف ، وأما ماحكى أبو زيد عن العرب : ما آمنت أن أجد صحابة أى ماوثقت ، فحقيقتـــه : صرت ذا أمن به ، أى ذا سكون وطمأنينة(١) . اهـ

وآمن إنما يقال على وجهين أحدهما متعدياً بنفسه يقال آمنته أى جعلت له الأمن ومنه قيل لله (مؤمن) والثانى غير متعد ومعناه صار ذا أمن(٢) .

فالإيمان من الأمن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف ثم أطلق على التصديق كحقيقة لغوية أو من باب المجاز حيث يلزم أنك إذا صدقت إنساناً فقد أمنته التكذيب وقد ورد ذكر الإيمان فى القرآن بمعنى التصديق متعدياً باللام كما فى قوله تعالى :

[وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين](٣) .

وقد جاء متعدياً بنفسه بالمعنيين فى قوله تعالى [المؤمن] فقد ورد فى تفسيره : المصدق للمؤمنين ماوعدهم به من الثواب والمصدق للكافرين ما أوعدهم به من العقاب ، وقيل المؤمن الذى يؤمن أولياءه من عباده

---

(١) الكشاف جـ١ ص٣٨

(٢) المفردات للراغب ص٢٩

(٣) يوسف ١٧

من ظلمه يقال آمنه من الأمان الذي هو ضد الخوف كما قال تعالى [وآمنهم من خوف] فهو مؤمن(١) .

ويأتي الإيمان متعديا بالباء بمعنى التصديق أيضا كما في قوله سبحانه وتعالى [يؤمنون بالله واليوم الآخر](٢) .

والمراد بالتصديق هنا الذي معه أمن .

وأما قوله تعالى [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت](٣) .

فذلك مذكور على سبيل الذم لهم وأنه قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن إذ ليس من شأن القلب ما لم يكن مطبوعا عليه أن يطمئن إلى الباطل وإنما ذلك كقوله [من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم](٤) وهذا كما يقال : إيمانه الكفر وتحيته الضرب ونحو ذلك(٥) .

أما الإيمان شرعا كما يرى السلف الصالح وأهل السنة فهو :

التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان .

فالتصديق بالقلب والإذعان لكل ما ثبت مجيء النبي به ﷺ وقبوله هو أساس الإيمان الشرعي المنجي من الخلود في النار غير أن الإقرار باللسان

---

(١) حاشية الجمل جـ ٤ ص ٣٢١
(٢) آل عمران ١١٤
(٣) النساء ٥١
(٤) النحل ١٠٦
(٥) المفردات للراغب ص ٢٦

شرط لإجراء الأحكام الشرعية فى الدنيا ، كما أن العمل شرط لاكتمال الإيمان وزيادته وبقائه .

وإذن فحقيقة الإيمان الشرعى عندهم هو التصديق وأما النطق باللسان والعمل بالأركان فشرطان خارجان عن حقيقته ولكن لابد منهما كما ذكرنا .

قال الإمام الألوسى فى بيان حقيقة الإيمان الشرعى بعد بيان حقيقته اللغوية : وأما فى الشرع فهو التصديق بما علم مجيء النبى ﷺ به ضرورة ، تفصيلا فيما علم تفصيلا وإجمالا فيما علم إجمالا وهذا مذهب جمهور المحققين . لكنهم اختلفوا فى أن مناط الأحكام الأخروية مجرد هذا المعنى أم مع الإقرار ؟

فذهب الأشعرى وأتباعه إلى أن مجرد هذا المعنى كاف لأنه المقصود والإقرار إنما هو ليعلم وجوده فإنه أمر باطن ويجرى عليه الأحكام . فمن صدق بقلبه وترك الإقرار مع تمكنه منه كان مؤمناً شرعاً فيما بينه وبين الله تعالى ويكون مقره الجنة(١) .

بخلاف ما يرى المعتزلة والخوارج والزيدية من أن حقيقة الإيمان تنتظم الثلاثة وهى التصديق والإقرار والعمل وأن من أخل بأى ركن من هذه الأركان الثلاثة لا يعد مؤمناً ويخرج عن دائرة الإيمان حيث جعل الخوارج والزيدية مرتكب الكبيرة كافراً .

والمعتزلة تقول إنه ليس بمؤمن ولا بكافر وتسميه فاسقاً وتجعله فى منزلة بين المنزلتين وقد أخذ هؤلاء وأولئك عامة آيات الوعيد فسووا بين معصية الكفر أو الشرك وما دونها .

واتجاه أهل السنة كذلك مخالف لما يراه الكرامية من أن الإيمان الشرعى هو مجرد الإقرار باللسان دون القلب حيث ينكرون أن يكون

---

(١) تفسير الألوسى جـ١ ص ١١٠

التصديق القلبي أو أي شيء غير النطق اللساني إيمانا ويزعمون أن المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ كانوا مؤمنين(١) .

وقد نفى القرآن الكريم الإيمان عن أمثال هؤلاء بقوله تعالى [ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين](٢) مع إقرارهم باللسان بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر .

كما أن رأى أهل السنة كذلك مخالف لما يراه المرجئة الذين يقولون إن الإيمان هو التصديق فقط بالقلب واللسان ولا دخل للعمل في حقيقته ويزعمون أنه لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة .

وقد أبطل القرآن زعمهم هـــذا وتسويتهم بين الطائعين والعاصين وإهدارهم لقيمة العمل حيث يقول تعالى :

[أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم وساء ما يحكمون](٣) .

[تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين](٤) .

[فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره](٥).

وبهذا يتقرر أن الإيمان الشرعي الذى يعتبره الشرع يتمثل في القبول

---

(١) مقالات الإسلاميين للإمام الأشعري ٢٢٣/١ [قصد السبيل د/ جودة المهدى ص ٥٥] .

(٢) البقرة ٨ — (٣) الجاثية ٢١

(٤) النساء ١٣ ، ١٤ — (٥) الزلزلة ٧ ، ٧

والإذعان لما جاء به النبي ﷺ والذي يدل على ذلك هو الإقرار باللسان والاستسلام والانقياد لله سبحانه وتعالى باطناً وظاهراً حتى يوافق اللسان القلب ويتعاضد كل منهما .

ويكتمل هذا الإيمان وينمو بالعمل بما أمر به الله واجتناب مانهى عنه فيكون رعاية للإيمان وصيانة له وتعميقا لجذوره في نفس الإنسان حتى يصير هواه تبعاً لما جاء به النبي ﷺ فيقوده إيمانه إلى الخير ويحثه عليه ويبغضه في الشر ويعصمه منه وهذه هي الهداية التي هي ثمرة الإيمان كما قال تعالى [إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم](١) .

وهي الاستقامة المكملة للتوحيد كما قال تعالى [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة](٢) .

وفي الكشاف أي ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وأراد أن من قال ربي الله تعالى فقد اعترف أنه عز وجل مالكه ومدبر أمره ومربيه وأنه عبد مربوب بين يدي مولاه . فالثبات على مقتضاه ألا تزل قدمه عن طريق العبودية قلباً وقالباً ولا يتخطاه وفيه يندرج كل العبادات والاعتقادات ولهذا قال ﷺ لمن طلب أمراً يعتصم به : قل ربي الله تعالى ثم استقم ، وأما تنزل الملائكة عليهم فقد فسر بتنزل الملائكة عليهم بعونهم فيما يعن لهم ويطرأ من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أن الكفرة يغويهم ماقيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح ، وقيل هذا هو الأظهر لما فيه من الإطلاق والعموم الشامل لتنزلهم في المواطن الثلاثة السابقة وغيرها .

---

(١) يونس ٩ (٢) فصلت ٣٠ ، ٣١

ولهذا قال [نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة] أى أعوانكم فى أموركم نلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك بتوفيق الله وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام . وقيل هـذا من كلام الله تعالى دون الملائكة أى نحن أولياؤكم بالهداية والكفاية فى الدنيا والآخرة(١) .

(١) انظر تفسير الإمام الألوسى جـ ٢٤ ص ١٠٧ ، ١٠٨

٢ ـ الإسلام وعلاقته بالإيمان والإحسان

عرفنا فيما سبق حقيقة الإيمان فما هي حقيقة الإسلام ؟

أسلم تأتى لمعان منها :

١ ـ أسلم : انقاد .

٢ ـ أسلم : قلبه أخلص .

٣ ـ أسلم : دخل فى الإسلام وقوله تعالى : [إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين](١)أى أدخل فى الإسلام أو أخلص قلبك وانقد إليه انقياد خضوع وطاعة .

وقوله تعالى : [وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم](٢) أى أدخلتم فى الإسلام ؟ والغرض من الإستفهام الأمر ، أى أسلموا .

٤ ـ واستسلم : طلب السلامه أو خضع وذل ، أوطلب السلام مع الخضوع والذلة قال تعالى : [بل هم اليوم مستسلمون](٣) .

ومن هنا يعلم أن الإسلام فى اللغـــة له معنيان حيث يستعمل لازما فيكون بمعنىمطلق الإنقياد والإستسلام أوتستعمل متعدياً فيكون بمعنى التسليم أى البذل والإعطاء .

---

(١) البقرة ١٣١

(٢) آل عمران ٢٠

(٣) الصافات ٢٦التقويم القويم للقرآن الكريم إبراهيم أحمد عبدالفتاح حـ١ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦

قال تعالى : [فلما أسلما وتله للجبين](١) .

قال الإمام القرطبي :

أي انقيادا لأمر الله ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس وعلى رضوان الله عليهم [فلما أسلما] أي فوضا أمرهما إلى الله .

وقال ابن عباس : استسلما، وقال قتادة أسلم أحدهما نفسه لله عز وجل وأسلم الآخر ابنه . اهـ(٢) .

وقال تعالى: [ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور](٣) مأخوذ من أسلمت المتاع إلى الزبون اهـ بيضاوى والزبون بفتح الزاى المشترى من الزبن وهو الدفع اهـ شهاب لأنه يدفع غيره عن أخذ المبيع(٤) .

وأما أسلم بمعنى أدخل فى الإسلام فذلك كما فى قوله تعالى: [إذ قال له ربه أسلم] والإمام الألوسي يقيد المراد بالإسلام هنا بأنه العمل بالجوارح حيث لا يصح حمله على معنى الإيمان إذ يقول :

ولا يمكن الحمل على الحقيقة أعنى إحداث الإسلام والإيمان لأن الأنبياء معصومون عن الكفر قبل النبوة ، وبعدها ولأنه لا يتصور

(١) الصافات ١٠٣

(٢) تفسير القرطبي جـ٦ ط الشعب ص ٥٥٤٨

(٣) لقمان ٢٢

(٤) حاشية الجمل على الجلالين جـ٣ ص٤٠٨

الوحى الإستقبال قبل الإسلام، نعم إذا حمل الإسلام على العمل بالجوارح لا على معنى الإيمان أمكن الحمل على الحقيقة كما قيل به(١) .

وأما الإسلام شرعاً فهو الإنقياد والإمتثال والإذعان الظاهرى لما جاء به النبى ﷺ من أوامر الشرع الشريف ونواهيه .

وعلى هذا فالإيمان والإسلام متغايران مفهوما أى معنى وما صدقا أى أفراداً وإن تلازما شرعاً باعتبار المحل بعد اتحاد الجهة المعتبرة فلا يوجد مؤمن ليس بمسلم ولا مسلم أى عند الله وعندنا ليس بمؤمن — ولا يرد من صدق واخترمته المنية مثلا لأنه عند الله مؤمن ومسلم ، وعندنا ليس بمسلم ولا مؤمن فالتلازم بعد اتحاد الجهة المعتبرة كما علمت ، والكلام فى الإيمان المنجى والإسلام كذلك وإلا فلا تلازم ، بل بينهما العموم والخصوص الوجهى — يجتمعان فيمن صدق بقلبه وانقاد بظاهره ، وينفرد الإيمان فيمن صدق بقلبه فقط ، والإسلام فيمن انقاد بظاهره فقط(٢) .

وقد ورد الإيمان والإسلام مستعملين فى حقيقتهما الشرعية فى بعض آيات التنزيل الحكيم ومن ذلك قوله تعالى : [قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم](٣).

وهذا يدل على مغايرة الإيمان للإسلام حيث نفى الإيمان عن الأعراب مع قولهم آمنا وأثبت لهم الإسلام فقط لأنه امتثال ظاهري بخلاف الإيمان وهو التصديق الذى محله القلب — قال الواحدى فى أسباب النزول فى هذه الآية : نزلت فى أعراب من بنى أسد بن خزيمة قدموا على رسول

---

(١) تفسير الألوسى ج١٥ ص٢٨٨

(٢) شرح البيجورى على الجوهرة ص ٥١

(٣) الحجرات ١٤

الله ﷺ المدينة فى سنة جدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين فى السر وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها ، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ : أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليـــه فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية(١) .

ومع ذلك أيضاً ورد فى آيات التنزيل إما يدل بظـاهره على عدم التخالف بين معنى الإيمان والإسلام وذلك فى قوله تعالى : [فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين](٢).

وقد استدل المعتزلة بهذه الآية ومن ذهب إلى رأيهم عن لا يفرق بين مسمى الإيمـــان والإسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا استدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الإسمان ههنـا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك فى كل حال(٣) .

وقد نقض الألوسى هذا الإستدلال حيث بين أنهما متلازمان باعتبار المحل ولـكنهما متغايران من حيث المفهوم فقال : واستدل بالآية على اتحاد الإيمان والإسلام للإستثناء المعنوى فإن المعنى :فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فلم يكن المخرج إلا أهل بيت واحد وإلا لم يستقيم الـكلام، وأنت تعلم أن هذا يدل على أنهما صادقان على الأمر الواحد لا ينفك أحدهما عن الآخر كالناطق والإنسان — أما على الإتحاد فى المفهوم وهو المختلف فيه

---

(١) أسباب النزول الواحدى ص٢٢٥

(٢) الذاريات ٣٥ ، ٣٦

(٣) تفسير ابن كثير حـ ٤ ص٢٣٦

عند أهل الأصول والحديث فلا ، فالاستدلال بها على اتحادهما ضعيف. نعم تدل على أنهما صفتا مدح من أوجه عـديدة استحقاق الإخراج، واختلاف الوصفين وجعل كل مستقلا بأن يجعل سبب النجاة(١).

وقد بينت السنة النبوية الشريفة فى حديث سيدنا جبريل عليه السلام المشهور الذى سأل فيه النبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان أن. أن مفهوم حقيقة الاسلام يختلف مع مفهوم حقيقة الإيمان وأنهما غير الإحسان وأن مجموع الثلاثة هو الدين .

روى الإمام مسلم رضى الله عنه بسنده عن يحيى بن يعمر قال [كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهنى فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن حاجين معتمرين فقلنالو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر فوفق لنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلى فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لاقدر وأن الأمر أنف .

قال : فإذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم برآء منى .

والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ماقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر .

ثم قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى

---

(١) تفسير الألوسى جـ ٢٧ ص١٤

النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه .

وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا .

قال : صدقت . قال فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرني عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان .

قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي : يا عمر ، أتدرى من السائل ؟ . قلت : الله ورسوله أعلم قال . [فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم](١).

فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الإسلام بأعمال الجوارح الظاهرة من قول وعمل،وأن أول هذه الأمور هو شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وهو عمل اللسان ثم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا .

---

(١) رواه مسلم في أول كتاب الإيمان وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة وابن حبان في صحيحة وأحمد في مسنده .

وهذه الأعمال منقسمة إلى عمل بدنى كالصلاة والصوم ، وإلى عمل مالى كالزكاة ، وإلى مركب منهما كالحج .

ومما يدل على أن جميع الأعمال الظاهرة تدخل فى مسمى الإسلام كثرة الأحاديث الواردة فى هذا الشأن كقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عبد الله بن عمرو أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الإسلام خير ؟.

قال : [تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف](١) .

وكقوله صلى الله عليه وسلم أيضاً وقد سأله رجل أى المسلمين خير ؟ قال : [من سلم المسلمون من لسانه ويده](٢) .

وفى صحيح الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : [إن للإسلام ضوءاً ومناراً كمنار الطريق ، بين ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتسليمك على بنى آدم إذا لقيتهم ، وتسليمك على أهل بيتك إذا دخلت عليهم ، فمن انتقص شيئاً من ذلك فهو سهم من الإسلام يتركه ، ومن تركهن فقد نبذ الإسلام وراء ظهره](٣).

وإنما ذكر هنا فى حديث جبريل أصول أعمال الإسلام التى ينبنى عليها كما فى قوله صلى الله عليه وسلم [بنى الإسلام على خمس : شهادة

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان عن عبد الله بن عمر وكذلك .

(٣) أخرجه الحاكم فى صحيحه .

ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان](١) .

لأن من أكمل الإتيان بهذه الأسس الخمسة صار مسلماً حقاً ولذلك جاء فى بعض الروايات : [فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم] ؟ .

قال : نعم إذ لايصح هذا السؤال لمن أقر بالشهادتين إلا إذا كان المراد بأنه يصير مسلما حقاً حيث إن من أقر بالشهادتين صار مسلماً حكما فإذا دخل فى الإسلام بذلك ألزم بالقيام بقية أعمال الإسلام .

ومن ترك النطق بالشهادتين مع التمكن والإختيار لايكون مسلما لأنهما علم الإسلام.

وكما أن الأعمال تدخل فى مسمى الإسلام ، فكذلك ترك المحرمات داخل فى مسمى الإسلام أيضاً ، لأنه سبحانه وتعالى أمرنا بأعمال الإسلام المذكورة ونهانا عن تركها كما نهانا عن فعلى المحرمات ولا يتحقق الإسلام الحق إلا بطاعته تعالى ولا تتحقق طاعته إلا بترك منهياته وعدم تعدى حدوده ولذلك وعد الطائعين بالجنة والثواب وأوعد العاصين بالنار والعقاب .

قال تعالى : [تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً فيها وله عذاب مهين](٢) .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) النساء ١٣ ، ١٤

هذا بيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد والظاهر حيث ثبت حكم الإسلام فى الظاهر بالشهادتين وأضاف إليهما أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بذلك يتم استسلامه كما أنه بيان لأصل الإيمان الذى هو التصديق الباطن .

فظاهر الحديث يدل على التفرقة بين الإسلام والإيمان — والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الأعمال كلها داخلة فى مسمى الإيمان كذلك.

يقول الشيخ الإمام ابن الصلاح : ثم إن اسم الإيمان يتناول مافسر به الإسلام فى هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذى هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظ له .

ولهذا فسر صلى الله عليه وسلم الإيمان فى حديث وفـــد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم .

ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أوبدل فريضة لأن اسم الشىء مطلقا يقع على الكامل منه ولا يستعمل فى الناقص ظاهراً إلا بقيد ، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه فى قوله ﷺ (لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)(١) .

ويدل على دخول الأعمال فى الإيمان قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون)(٢) .

كما أن الإيمان أطلق على بعض أفراد الإسلام فى القرآن يقول الله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ١٤٨
(٢) الأنفال ٢

تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم)(١)، إذ المراد بالإيمان هنا الصلاة .

قال ابن عباس فى رواية الكلبى : كان رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ماتوا على القبلة الأولى . منهم أسعد بن زرارة وأبو أمامة أحد بنى النجار والبراء بن معرور أحد بنى سلمة وأناس آخرون جاءت عشائرهم فقالوا : يارسول الله توفى إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى وقد صرفك الله تعالى إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) الآية(٢)

والإسلام أيضاً يتناول التصديق ويطلق عليه فى الكتاب والسنة

يقول الإمام البغوى الشافعى فى هذا الحديث : (جعل النبى صلى الله عليه وسلم الإسلام اسما لما ظهر من الأعمال وجعل الايمان اسما لما بطن من الاعتقاد .

وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هى كلها شىء واحد وجماعها الدين ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم، والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعا ، يدل عليه قوله سبحانه وتعالى : (إن الدين عند الله الإسلام)(٣) (ورضيت لكم الإسلام دينا)(٤) (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)(٥) فأخبر سبحانه وتعالى أن الدين

---

(١) البقرة ١٤٣
(٢) أسباب النزول للواحدى ص ٢٣
(٣) آل عمران ١٩
(٤) المائدة ٣
(٥) آل عمران ٨٥

الذى رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام ولا يكون الدين فى محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل(١)

ولهذا المعنى بوب البخارى رحمة الله كتاب الإيمان مثبتا هذا المعنى فى جميع أبوابه فقال : باب أمور الإيمان ، وباب الصلاة من الإيمان ، وباب الزكاة من الإيمان وباب الجهاد من الإيمان .

وبهـــذا يظهر أن مايتناوله اسم الإسلام هو مايتناوله اسم الإيمان وبالعكس .

ولـكن العلماء وضعوا قاعدة استقرائية تزيل هـذا اللبس وتجمع بين النصوص التى توهم التفريق والاختلاف وبين النصوص التى تدل على التوافق والاتحاد .

فقالوا : إنهما إذا أفردا دل كل منهما على مايدل عليه الآخر ، فإذاقرنا صار لـكل منهما حقيقته المختلفة عن الآخر

بمعنى أنه إذا ذكر الإيمان وحده فى سياق دل على مايدل عليه الإسلام وإذا ذكر الإسلام وحده فى سياق دل على مايدل عليه الإيمان

فإذا ماذكرا معا فى سياق واحد كما فى حديث جبريل صار كل منهما مختصا ببعض هذه المدلولات فيختص الإيمان بالتصديق الباطن بالقلب ويختص الإسلام بالانقياد الظاهرى بالأعمال كالمسكين والفقير إذا أفرد أحدهما دل على كل من هو محتاج فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوى الحاجات والآخر على باقيها .

فمثال الاجتماع قوله تعالى : (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ١٤٥

والمؤمنات) الآية(١) وقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)

وأمثلة الافتراق كثيرة كقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون)(٢) (وبشر المؤمنين)(٣) (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)(٤)

وأما الإحسان فله معنيان لأنه إن تعدى بنفسه كان بمعنى الإتقان تقول أحسنت العمل أتقنته وإن تعدى بحرف الجر كان بمعنى إيصال النفع للغير تقول أحسنت إلى فلان بمعنى أوصلت إليه نفعا وأل فى الإحسان هنا للعهد أى ما الإحسان المتكرر فى القرآن الكريم ؟

وقد جاء ذكر الإحسان فى القرآن تارة مقرونا بالايمان وتارة مقرونا بالاسلام وتارة مقرونا بالتقوى أو بالعمل الصالح

فالمقرون بالايمان كقوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين)(٥) .

وكقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)(٦) .

---

(١) الأحزاب ٣٤
(٢) المؤمنون ١
(٣) الصف ١٣
(٤) الأنعام ٨٢
(٥) المائدة ٩٣
(٦) الكهف ٣٠

والمقرون بالإسلام كقوله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه)(١) .

و كقوله تعالى (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثق)(٢) .

وتوضيح الإحسان بهذا البيان من جوامع كلم النبي ﷺ التى أوتيها لأن العبد وهو فى عبادة ربه لو قدر أنه يعاين مولاه لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به — وهذا هو مقام المشاهدة وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه ، وهو أن يتنور القلب بالإيمان ، وتنفذ البصيرة فى العرفان حتى يصير الغيب كالعيان .

قال بعض العارفين من السلف : من عمل لله على المشاهدة فهو عارف ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص .

فالأول مقام المشاهدة والعيان المؤدى إلى العرفان، والثانى مقام المراقبة واستحضار العبد اطلاع الله عليه ومشاهدة الله إياه وقربه منه مما يؤدى إلى الإخلاص .

ومعنى قوله ﷺ (فإن لم تكن تراه فإن يراك) أى إذا شق عليك تحقيق هذا المقام فلم يتأت لك فاستعن على ذلك بإيمانك بأن الله تعالى مطلع على السر والنجوى وأنه يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين لا يخفى عليه شىء من أمرك فى ظاهرك وباطنك فإذا تحقق لك هذا المقام سهل عليك الانتقال إلى المقام الأول .

فكأن المقام الثانى تعليل لمقام المشاهدة والتحقق بالبصيرة .

---

(١) البقرة ١١٢ (٢) لقمان ٢٢

وقيل بل هو إشارة إلى عظم المقام الأول وأن من شق عليه ذلك فلينتقل إلى المقام الثانى قال القاضى عياض رحمه الله تعالى :

وهذا الحديث : قد اشتمل على شرح وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه(١) .

فالإحسان هو الإخلاص فى العقيدة والعمل فى الإيمان والإسلام والتوجه إلى الله وحده فى تجرد وانكسار ذلك من الأعمال الباطنة التى تدخل فى مسمى الإيمان والإسلام .

وجماع الثلاثة هو الدين كما قال سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ح١ ص١٥٨

٣ — زيادة الايمان و نقضه

إختلف العلماء فى زيادة الإيمان ونقصه .

فرأى بعضهم أن الإيمان معناه فى الأصل التصديق وهو بهذا المعنى لا يزيد ولا ينقص لأن التصديق ليس شيئاً يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه مرة أخرى فتى نقص التصديق ذهب الإيمان فلا يسمى إيمانا وإنما يكون شكا ونحوه .

ولكننا عرفنا مما سبق أن الإيمان فى لسان الشرع هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان وإذا فسر الإيمان بهذا فإنه يصح أن تتطرق إليه الزيادة والنقصان وهو مذهب أهل السنة .

فالمؤمن المصدق بقلبه والذى لا يعمل بالأركان ومواجب الإيمان لا يصح أن يسمى مؤمنا بالاطلاق العام أى لا يكون مؤمنا حقا أو كامل الإيمان عند أهل السنة ومن هنا سلب عنه الإيمان فى حديث رسول الله ﷺ [لا يزنى الزنى حين يزنى وهو مؤمن] الحديث(١) .

قال تعالى [إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون](٢) .

[هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما](٣) .

---

(١) رواه الشيخان
(٢) الأنفال ٢
(٣) الفتح ٤

[وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون](١) .

[وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا](٢) .

[الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل](٣) .

فهذه الآيات تدل دلالة صريحة على زيادة الإيمان،وكل ما يقبل الزيادة يقبل النقصان فالإيمان يقبل الزيادة ويقبل النقصان .

قال ابن بطال : فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص ، قال : فإن قيل: الإيمان فى اللغة التصديق ، فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها فما ازداد المؤمن من أعمال البركان إيمانه أكمل وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان ومتى زادت زاد الإيمان كمالا . هذا توسط القول فى الإيمان ، وأما التصديق بالله تعالى ورسوله ﷺ فلا ينقص ولذلك توقف مالك رحمه الله فى بعض الروايات عن القول بالنقصان إذ لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكا وخرج عن اسم الإيمان(٤) .

---

(١) التوبة ١٢٤
(٢) المدثر ٣١
(٣) آل عمران ١٧٣

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ ص١٤٦

ويقول الإمام الفخر فى تفسيره لآية الأنفال :

اختلفوا فى أن الإيمان هل يقبل الزيادة والنقصان أم لا ؟ أما الذين قالوا الإيمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والإقرار والعمل فقد احتجوا بهذه الآية من وجهين :

الأول : أن قوله [زادتهم إيمانا] يدل على أن الإيمان يقبل الزيادة ، ولو كان الإيمان عبارة عن المعرفة والإقرار لما قبل الزيادة .

والثانى : أنه تعالى لما ذكر هذه الأمور الخمسة قال فى الموصوفين بها [أولئك هم المؤمنون حقا] وذلك يدل على أن كل تلك الخصال داخل فى مسمى الإيمان ، وروى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : [الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان] . واحتجوا بهذه الآية على أن الإيمان عبارة عن مجموع الأركان الثلاثة ، قالوا لأن صريحة فى أن الإيمان يقبل الزيادة ، والمعرفة والإقرار لا يقبلان التفاوت فواجب أن يكون الإيمان عبارة عن مجموع الثلاثة الإقرار والاعتقاد والعمل(١) .

وقال الإمام الألوسى فى تفسير هذه الآية من سورة الأنفال :

[وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا] أى تصديقا كما هو المتبادر فإن تظاهر الأدلة ، وتعاضد الحجج مما لا ريب فى كونه موجبا لذلك . وهذا أحد أدلة من ذهب إلى أن الإيمان يقبل الزيادة والنقص وهو مذهب الجم الغفير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وبه أقول لكثرة الظواهر الدالة على ذلك من الكتاب والسنة من غير معارض لها عقلا ، بل احتج عليه بعضهم

---

(١) تفسير الفخر جـ ١٥ صـ ١١٩ .

بالعقل أيضاً ، وذلك أنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين فى الفسق والمعاصى مساويا لإيمان الأنبياء والملائكة ، واللازم باطل فكذا الملزوم — وقال محي الدين النووى فى معرض بيان ذلك : إن كل أحد يعلم أن ما فى قلبه يتفاضل حتى يكون فى بعض الأحيان أعظم يقينا وإخلاصا منه فى بعضها ، فكذلك التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها — وأجابوا عما اعترض به عليه من أنه متى قبل ذلك كان شكا وهو خروج عن حقيقته بأن مراتب اليقين متفاوتة إلى علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين مع أنه لاشك معها(١) .

وذكر الإمام الفخر فى تفسيره لزيادة الإيمان الذى هو التصديق وجهين :

الوجه الأول : أن الذى عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى رحمه الله ، أن كل من كانت عنده الدلائل أكثر وأقوى كان أزيد إيماناً لأن عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين .

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم [لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح] يريد أن معرفته بالله أقوى .

وقد ضعف الفخر هذا التأويل وذكر أنه يمكن أن يقال : المراد من الزيادة الدوام وعدم الدوام وذلك لأن بعض المستدلين لا يكون مستحضرا للدليل والمدلول إلا لحظة واحدة ومنهم من يكون مداوما

---

(١) تفسير الألوسى جـ ٩ صـ ١٦٥

لتلك الحالة وبين هذين الطرفين أوساط مختلفة ومراتب متفاوتة وهو المراد بالزيادة .

الوجه الثانى من زيادة التصديق أنهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله حيث كانت التكاليف متوالية فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم متعاقبة فعند حدوث كل تكليف كانوا يزيدون تصديقا وإقراراً ومن المعلوم أن من صدق فى شيئين كان تصديقه أكثر ممن صدق فى شىء واحد .

وقوله [وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا] معناه أنهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا بإقرار جديد فكان ذلك زيادة فى الإيمان والتصديق — وفى الآية وجه ثالث : وهو أن كمال قدرة الله وحكمته إنما تعرف بواسطة آثار حكمة الله فى مخلوقاته ، وهذا بحر لا ساحل له ، وكلما وقف عقل الإنسان على آثار حكمة الله فى تخليق شىء آخر إنتقل منه إلى طلب حكمة فى تخليق شىء آخر فقد إنتقل من مرتبة إلى مرتبة أخرى أعلى منها وأشرف وأكمل ، ولما كانت هذه المراتب لا نهاية لهـا لا جرم لا نهاية لمراتب التجلى والكشف والمعرفة(١) .

وقد ضعف الإمام الألوسى الرأى القائل بأن المراد من الزيادة الدوام كما ضعف الرأى القائل بأن المراد بالزيادة زيادة ما يؤمن به من الآيات وإستدل على ذلك بما سبق .

ومما تقدم يتبين أن الإيمان الذى هو التصديق أى أصل الإيمان يزيد وينقص تبعا لقوة الاقتناع الثابت بكثرة الأدلة وقوتها وطمأنينة القلب .

---

(١) تفسير الفخر جـ ١٥ ص ١١٧

بالإيمان ورسوخه فيه وإشراقه به وليس أدل على ذلك من قوله تعالى [يا أيهـــا الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله](١) .

فقد نادى عليهم بوصف الإيمان وهذا يدل على أن أصل الإيمان متحقق فيهم ثم أمرهم بعد ذلك بالإيمان فما معنى ذلك ؟ إن كان يريد الامتثال والاستجابة ليحققوا الإيمان فيهم فذلك تحصيل للحاصل وتحصيل الحاصل محال فكيف يأمر بمحال ؟ وإذن فلابد أنه يأمرهم بشيء زائد على أصل الإيمان وهو تأصيله وتقويته والثبات عليه حتى ينشرح به الصدر ويتفاعل مع صاحبه شعوراً وعاطفة وسلوكا ومنهجا .

ومن ذلك قوله تعالى « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين »(٢) « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى »(٣) « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم »(٤) .

فالمتقون لاشك أنهم مهتدون أى مؤمنون فالهدى لهم زيادة فى الإيمان وكذلك فى هذه الآيات فإنها تدل على زيادة الإيمان . ولذلك قال الإمام النووى :

قال المحققون من أصحابنا المتكلمين : نفس التصديق لايزيد ولا ينقص ، والإيمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهى الأعمال ونقصانها .

---

(١) النساء ١٣٦
(٢) البقرة ٢
(٣) الكهف ١٣
(٤) محمد ١٧

قالوا وفى هذا توفيق بين ظواهر النصوص التى جاءت بالزيادة وأقاويل السلف، وبين أصل وضعه فى اللغة وما عليه المتكلمون، وهذا الذى قاله وإن كان ظاهرا حسنا فالأظهر والله أعلم .

أن نفس التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم ولا يتزلزل إيمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال .

وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك فهذا مما لا يمكن إنكاره ولا يتشكك عاقل فى أن تصديق أبى بكر الصديق رضى الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس ولذلك قال البخارى فى صحيحه : قال ابن مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه مامنهم أحد يقول : إنه على إيمان جبريل وميكائيل والله أعلم(١).

وهكذا يزداد المؤمنون بآيات الله إيمانا وهدى كما يزداد بها الظالمون خسارا أو كفرا كما قال الحق تبارك وتعالى «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا »(٢) .

وكما قال «وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون »(٣)

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ح ١ ص ١٤٨، ١٤٩
(٢) الإسراء ٨٢
(٣) التوبة ١٢٤، ١٢٥

ومعلوم أن الذى يقبل الزيادة والنقص من الإيمان هو إيمان البشر غير الأنبياء والملائكة أما إيمان الملائكة والأنبياء فإنه يزيد ولا ينقص، وأما إيمان الله تعالى الذى يفيده قوله تعالى (المؤمن) فإنه لا يزيد ولا ينقص

وإلى لقاء آخر فى العدد القادم إن شاء الله لنتحدث عن :

١ ــ أركان الإيمان　　　٢ ــ شعب الإيمان

٣ ــ صفات المؤمنين

دكتور محمد البيومى عبد الحكيم صدقه
أستاذ التفسير المساعد